بدأ صدورها في 2012م الرقم الدولي: 2321-7928

مـجــلـة الهـــند

مجلة فصلية محكّمة

المجلد: 9 العددان: 2-3

أبريل-سبتمبر 2020م

تصدر عن

مولانا آزاد آئيديل إيجوكيشنال ترست

بولفور، بنغال الغربية

ISSN: 2321-7928

الدراسات اللغوية في شبه القارّة الهندية
قبل الإسلام وبعده

- د. ضياء القمر آدم علي[1]

تُعدّ اللغة للبشرية جمعاء أساسًا مهمًّا، وضرورةً من أهمّ ضرورياتها؛ تُعبِّر بها عن حاجاتها، ورغباتها، وآمالها، وطموحاتها، وتساعدها في تبادل الآراء والأفكار، والأحاسيس والمشاعر، وتنمّي أفكارها وتجاربها؛ فهي تهيّئُها للأخذ والعطاء، والإبداع والمشاركة؛ وهي عنصرٌ مهمٌّ يربط الإنسانية بوجودها في هذا الكون، لولم تكن اللغة لم تعرف قيمتها وثقافتها، ولم تتميَّزْ عن غيرها. وللغة وظائفُ متعدِّدةٌ؛ اجتماعيّةٌ، وفكريّةٌ، ونفسيّةٌ؛ وهي بهذا تمثِّل الأداة الأساسية لتواصل البشر؛ سواءً في المجتمع الواحد أو في المجتمعات المختلفة؛ قال ابن جنّي: "هي أصواتٌ يعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم".[2]

فدراسة حروف اللغة وأصواتها منعزلةً تعدّ دراسةً للمستوى الأساسي؛ وهو المستوى الصوتيّ، ثم استخدامُ هذه الأصوات بترتيبٍ منظَّمٍ على حسب حاجةِ المتكلم؛ لينطقها متنوعةً متصرّفةً باشتقاقاتٍ كثيرةٍ يسمَّى المستوى الصرفي، وعند تجاوز دراسة بنية الكلمة إلى تكوين الجملة من هذه الكلمات- حسبَ القواعد النحوية أو الضوابط التركيبية؛ لنبنيَ جملًا سليمةَ التركيب وسليمةَ المعنى، وحسب الحاجة؛ لدى المتكلّم أو الكاتب يسمّى المستوى التركيبي، أو النحوي، ثم استخدام هذه الجمل والتراكيب- وفق ضوابط دلالية- وجعلُها حسب المخاطب يسمَى المستوى الدِّلالي، وهكذا تترابط المستويات اللغوية في

---

[1] أستاذ اللغة العربية بالجامعة المحمّديّة منصوره، ماليغاون، مهاراشتر، الهند

[2] الخصائص، 14/1

اللغة، وفق هذا النظام؛ الذي يبدأ بالمستوى الصوتي، ثمّ الصرفي، ثم التركيبي، ثم الدلالي؛ إذ لا يقوم مستوًى إلا بالآخر؛ الذي قبلَه.

ومفهوم الدراسات اللغوية عند الباحثين هو: دراسة أية لغة؛ كانت عربية أو غيرها، واللغة تشتمل على مستويات: الأول: المستوى الصوتيّ، الثاني:المستوى الصرفيّ، الثالث: المستوى النحويّ، الرابع: المستوى الدلاليّ، وكلُّ مستوًى من هذه المستويات يدخل ضمن الدراسات اللغوية.

وقد يراد بالدراسات اللغويّة- إضافة إلى هذه المستويات- النظر في أيّ جانب من جوانب اللغة؛ ليشملَ كلّ صورةٍ من صور التفكير فيها؛ كالحديث عن نشأتها، ونموّها، وتطوّرها، وما إلى ذلك مما له صلةٌ باللغة.[1]

نشأة الدّراسات اللغوية وظهورها: إنّ اللغة- بالرغم من اتصالها بحياة الإنسان اتصالًا شديدًا، وارتباطها بها ارتباطًا وثيقًا، وتعايش الإنسان معها معايشة طويلة- لم نعثر على مصدر يرجع بنا إلى ما يعَدّ إرهاصًا لها؛ قبلَ القرن الرابع قبل الميلاد، سوى ومضات خاطفة وإيماءات خفيفة، تتمثل في النقوش القديمة في الهيروغليفيّة والسَّومرية والآشورية؛ من حيث احتواؤُها على عدّة إشاراتٍ:

1. اختراعُ الكتابة وتطوّرُها من الرمز بالصورة إلى الرمز بالشكل للصوت أو المقطع.
2. وصول سفراء الدول الأجنبية إلى بلاط الفراعنة في صحبة مترجمين.
3. تلك القواميس الثنائية؛ التي تجمع بين اللغتين: السومرية والآشورية، أو القواميس متعدّدة اللغة؛ التي تجمع أربعَ لغاتٍ.[2]

---

[1] ينظر: (خصائص تراكيب اللغة العربية للدكتور عبد الله علي علي الثوري) مقالٌ منشورٌ في الشبكة العنكبوتية (مدوّنة الثوري).

[2] ينظر: أسس علم اللغة، ص 225

فمن إمكاننا عند التفكير في بداية الدراساتِ اللغوية أن نعدّ انتقال الكتابة من الرسم والتصوير إلى الرموز الدالة على الصوت المفرد نقلة معرفية كبيرة؛ تقوم- في أساسها- على معرفة لغوية متقدّمة.

هذه الأمثلة وغيرها- على الرغم من أهميتها التاريخية- فإنها لا تدل دلالة كافية على وجود تفكير لغوي منظّم في تلك الحقب المتقدّمة من التاريخ؛ فهي مجرد ومضات خاطفة تدلّ على وجود وعي لغويّ دون تحديد مقداره أو حدوده، وتفصيلاته.

ولكنّ أقدمَ ما سجّله التاريخ من تفكير لغوي منظّم يرجع إلى الحضارتين القديمتين:اليونانية والهندية.

وفي التالي أحاول إلقاء الضوء على الدراسات اللغوية في الحضارة الهندية بغض النظر عن غيرها خشية الإطالة.

إذا قلّبنا صفحات التاريخ وجدنا أنه عُني الهنود بلغتهم "السنسكريتية"؛ التي ارتبطتْ بكتاب مقدّس لهم يُعرف بـ"الفيدا"؛ وذلك في مرحلة متقدّمة من الزمن؛ ترجع إلى ما بين القرنين: الثاني عشر والعاشر قبل الميلاد، وقد أثرت عن الهنود دراسات في فروع علم اللغة المختلفة تتناولُ الأصواتَ، والاشتقاقَ، والنحوَ، والمعاجم؛ كما تتناول كثيرًا من مشكلات قضايا اللغة، ويرجع أقدم هذه الدراسات إلى فترة مجهولة لنا، أما أقدم ما وَصَلَنا منها فيرجع إلى حوالي القرن الخامس قبلَ الميلاد.[1]

من الحقائق الثابتة المعروفة لدى الباحثين أنّ اللغة- لكونها جزءًا أساسيًّا لحياة الإنسان- تلقَّتْ من ناطقيها باهتمام بالغ نحوها، ولكنّ ارتباطها بدين يضفِي عليها بهاءً لا يُضاهى، وقيمةً لا تجارى، وخيرُ دليل على ذلك ما حدث باللغة العربية؛ فعندما أخذ الإسلام ينتشر شرقًا وغربًا، ودخلت بلادُ العرب وغيرُها في الإسلام، سارت اللغة

[1] ينظر: البحث اللغوي عند العرب، ص 57

العربية مع الإسلام جنبًا إلى جنب؛ فحيثما انتشر الإسلام انتشرت اللغة العربية؛ فمع اعتناق الفرد للدين الإسلاميّ لا بدّ له من الإلمام- على الأقلّ- ببعض الآيات القرآنية، حتى يؤدّي بها صلاته وواجباته الدينية؛ ولذلك فإنّه لا بدّ أن يكون على علمٍ ولو ضئيل باللغة العربية، أما من يريد أن يفهم دينه ويتبحّر فيه؛ فلا بدّ له من الإلمام الجيّد باللغة العربية حتى يستطيع قراءة القرآن الكريم وفهمه، وقراءة شروحه وتفاسيره، وبهذه الطريقة حمل الإسلامُ اللغةَ العربية معه حيثما حلّ وأينما ارتحل؛ على نحو جَعَلَ للعربية قدرًا واسعًا من الانتشار في كلّ المناطق؛ التي تضمُّ جماعاتٍ مسلمةً.

وهذه الحالة بالفعل حدثَتْ بلغة الهنود السنسكريتية؛ فكان الدافعُ إلى دراستهم للغتهم دينيًّا محضًا يتمثّل في:

1. حفظ نصوص "الفيدا".
2. اعتقادهم أنّ لغتهم الأساسية قد خلقها الإله لاستعمال الناس؛ بل يعتقدون أنها اللغة المستعملة بين الآلهة، وأطلقوا عليها وصف الوجود بدون سبب.
3. اعتقادهم أنهم ربما يكونون مثل الإله العظيم.

فلذلك كانوا يقدّسون لغتهم السّنسكريتية؛ التي كُتب بها هذا الكتاب، ووصفوها بالكمال، وكانوا يتعبّدُون بدراستها، والاعتناء بها.[1]

اللغة السنسكريتية، فصيلتها، وظهورها، وطبيعتها: تنتمي "السنسكريتية" إلى المجموعة الهندية-الآرية Indo-Aryan المتفرعة عن المجموعة الهندية-الإيرانية Indo-Iranian المنتمية إلى الأسرة اللغوية الهندية-الأوربية Indo-European.

"السنسكريتية" أقدم اللغات الهندية، وقد ظهرتْ- أصلًا- في المنطقة الشمالية الغربية من شبه القارة الهندية، ثم انتشرتْ جنوبًا وشرقًا، ثم "صارتْ واسعةَ

[1] نفس المرجع، ص 58

الانتشار جدًّا في قارتها؛ فشملتْ أعمالَها المعروفةَ على أوسعِ نطاقٍ؛ ملهاة خياليَة رومانطقية، ولغويات نظرية، واقتصادًا، وشيئًا من الجنس، وأشعارًا غنائيَة، وتاريخًا، إلى جانب إنتاج مستمرّ من شعر الملاحم، وكراسات دينية وفلسفية؛ وهو تقليدٌ أدبيٌّ شديدُ الوعي بالنفس، ومليءٌ بالإشارات المثقّفة".[1]

ورغم كون هذه اللغة مقدَسة لهم ومحطّ اهتمامهم بها- كما تقدَّم- صارتْ لغةً مهجورةً فيما بعد؛ لاقتصارها على مجموعة من الأناشيد الدينية البراهمية القديمة، ولكن بالنظر إلى أنّ جماعة من رجال الهند قد تولَوا حفظَ هذه الأناشيد البراهمية، وتعلّمَ طرقِ النطق بها، علاوة على طرق التعبير السليم بهذه الأناشيد وشرحها؛ فإنّهم انصرفوا إلى الاهتمام بدراسة مفرداتِها بتقعيد القواعد ووضع الضوابط؛ فظَهَرَ لذلك جيلٌ لاحقٌ من النحويّين لم يُوقِفْ اهتمامَه-فقط- على لغة هذه الأناشيد والكتابات المقدَسة؛ بل تعدّى ذلك إلى تناول المستويات اللغوية: الصوتية، والصرفية، والدلالية، والنحوية.

فمن رجالات الهند القدامى؛ الذين تصدّوا لدراسة اللغة السنسكريتية عددهم غير قليل، إلا أنّ الذين بلغتْ إلينا معلوماتهم قليلٌ؛ منهم: يَاسَكَا، وبَانِينِي، بَاتَنجَالِي، أَمَارَا سِنهَا، وغيرهم.

وفيما يلي ومضاتٌ لجهودهم في المستويات اللغوية الأربعة.

أوّلًا: المستوى الصوتي: نشأت دراسةٌ صوتيةٌ للفيدا؛ ليتمكّن ذووه من نطق كلّ كلمة على وجه الدِقة، وحسن التنغيم، غير أنّ هذه الدِراسة لم تنشأ مستقلةً منفصلةً عن غيرها من فروعها؛ وإنما ظهرت مرتبطة بالنحو، وعولجت مشاكلها مع مشاكله؛ فكان النحاة- آنذاك- يستفيضون في كتبهم النحوية في الحديث عن الألفباء الهندية، والمشاكل النطقية، وغير ذلك، ثم

[1] إمبراطوريات الكلمة، تاريخ للغات في العالم، ص 254

انفصلت الدراسات الصوتية عن النحو، وظهرت عندهم مؤلفاتٌ مستقلَةٌ تعالج موضوعات من علم الأصوات العامّ.

يقول الدكتور أحمد مختار عمر: "يرجعُ تاريخ الدراسات الصوتية عند الهنود إلى 700-800 ق م، وأما الفترة التاريخية للمؤلفات المفقودة فترجع إلى المدة من 800-500ق م، وأما الفترة التاريخية للمؤلفات الموجودة فترجع إلى المدة من 500- 150 ق م" وقال: "وقد استطاع الدكتور verma أن يجمع خمسين كتابًا هنديًّا قديمًا في الأصوات؛ منها 31 كتابًا مطبوعًا، و19 مخطوطًا، وأقام دراسة على هذه المؤلفات الخمسين".[1]

وقد أخذت الدراسات الصوتية عند الهنود أشكالًا مختلفةً؛ تتمثّل في ثلاث نقاط:

الأولى: الصوت المفرد: فيما يتعلّق بالصوت المفرد، فقد توصّل الهنودُ إلى الحقائق الآتية:

1. "قسَّموا الأصوات إلى: علة، وأنصاف علة، وساكنة، وقد قسّموا العلة إلى: بسيطة وإلى مركبة؛ كما قسّموا السواكن بحسب مخارجها إلى: حلقية، وغارية، ولسانية، وأسنانية، وشفوية.
2. توصّل الهنود إلى أثر القفل في إنتاج الأصوات الانفجارية أو الوقفية، والفتح في إنتاج أصوات العلة؛ كما تحدّثوا عن أنصاف العلل، وعن الأصوات الاحتكاكية.
3. وضع الهنود مقاييسَ لكمّيّة الصوت على أنّه يكون قصيرةً، أو طويلةً، أو طويلةً جدًّا؛ كما ذكروا أنّ الصوت البشري ثلاثة أنواع: سريع، ومتوسّط، وبطيء".[2]

---

[1] البحث اللغوي عند الهنود، وأثره على اللغويين العرب، ص 47

[2] نفس المرجع، ص 48-51

الثانية: المقطع: أما ما يتعلَق بالمقطع الصوتي فقد تحدَّث الهنود عنه بالتفصيل؛ يتمثّل في: تقسيم المقطع، وقواعده، وكيفيّته، وطرق قياسه، وغير ذلك.

1. ذكروا أنّ أهمّ أجزاء المقطع هو العلة، وذلك بناءً على ما قرَروه من أنّ الساكن لا يمكن أن يقف بنفسه؛ وإنما يعتمد- دائمًا- على العلة؛ في حين أنّ العلة يمكن أن تستقلّ بنفسها.
2. وضع الهنود قواعدَ للتقسيم المقطعيّ على النحو التالي:

أ. إذا وقع الساكن قبل علة فإنّه يتّبع العلة؛ التي تليه؛ سواء كان الساكن أوّلًا أو وسطًا.

ب. إذا وقع الساكن بين علتين فإنّه يلحق بالعلة؛ التي تليه.

ت. الساكن المتطرّف يتّبع العلة السابقة، والسبب في ذلك أنّ كلّ السواكن المتطرفة في السنسكريتية أصواتٌ انفجاريّةٌ كانت تنطق في تهاون، حتى إنها قد اختفت في بعض اللهجات، ولا يمكن أن يتوقع في مثل هذه الحالة أن يُشكّل أحدها مقطعًا مستقلًّا.[1]

الثالثة: النّبر: أما في النَّبر فقد توصّل الهنود إلى الحقائق التالية:

1. النّبر ليس من خصائص السواكن؛ وإنما من خصائص العلل، ويرى باتنجالي أنّ الساكن قد يشارك العلة في النَّبر إذا جاورها؛ فتنتقل إليه خاصّتها تمامًا؛ كما يحدث لقطعة قماش بيضاء حين توضع بين قطعتين حمراوين، فإنّ البياض يكتسب لون الحمرة منهما.
2. العلة؛ الّتي تتحمّل نغمةً عاليةً تُسمّى منبورةً.
3. للنَّبر ثلاث درجاتٍ.

[1] نفس المرجع، ص 53-56

4. كلّ كلمة لها نبرٌ واحدٌ يختلف موضعه من كلمة إلى كلمة.
5. هناك كلمات لا نبر لها؛ مثل الأدوات والضمائر.[1]

ثانيًا: علم الاشتقاق: أما جهود العلماء الهنود في علم الاشتقاق، فالمصادر الهندية القديمة تشير إلى سكاتيانا أوَّلَ رائدٍ لهذا العلم، غير أنّ أعماله؛ التي قام بها لأجل فقدِها نسيَه الناس، ونسب الريادة في هذا العلم إلى ياسكا، وعرف كتابه "النّيروكتا" أوّل كتابٍ هنديٍّ؛ يحوي قواعد الاشتقاق وضوابطه.

على ما تقدّم؛ فسواء كانت الريادة لياسكا أو سكاتيانا، فإنّ الريادة في هذا العلم يرجع إلى رجلٍ هنديٍّ، لا غيره.

يقول ماكس مولر: "ناقش ياسكا موضوعات الاشتقاق، وأصل الكلمات بطريقة؛ لا أعتقد أنّ أحدًا- في العصر الحاضر مستعينًا بكلّ حقائق علم اللغة المقارن- يستطيع أن يجاريها، أو يقدر على أن يقدّم بديلًا عنها بطريقة مقنعة أكثر مما فعل ياسكا".[2]

وقد أسّس الهنود الاشتقاق على عدّة أسسٍ:

1. كلُّ الكلمات يمكن أنْ تردَّ إلى أصولها؛ التي تُسمَّى جذورًا.
2. كلُّ الأسماء لها أصلٌ فعليٌّ.
3. الوصول إلى أصول الكلمات يؤدِّي إلى التمييز بين الجذور واللواحق التشكيليّة.
4. ليستْ كلُّ الجذور تتصرّف بطريقة واحدة؛ فبعضها ناقص التصرّف، وبعض الجذور الواردة في "الفيدا" قد ماتتْ، وهناك جذورٌ أخرى قد جدّت... وهكذا.
5. ربما كانت بعضُ اللواحق في فترة تاريخيّة قديمة تستخدم جذرًا.

[1] نفس المرجع، ص 56-57
[2] نفس المرجع، ص 63.

6. كلُّ جذرٍ كان يُعدُّ جملةً تامَّةً في استعمال الرجل البدائيّ.

وهذه الاشتقاقات كانت تهدف إلى تحليل الكلمات السنسكريتية، وليس الوصول إلى صياغة كلمات جديدة؛ كما كانت تهدف إلى التمييز بين الكلمات السنسكريتية الخالصة والكلمات الدخيلة؛ فما خضع للنماذج الاشتقاقية؛ التي ذكروها كان أصيلًا، وما لم يخضع كان دخيلًا.[1]

ثالثًا: المستوى النحويّ: أما ما يتعلّق بالنحو الهندي فهو- أيضًا- نشأ مرتبطًا بالنصوص المقدّسة السنسكريتية؛ فقد أعطتْه النصوص قداسة كبيرة، وجعله موضع اهتمامٍ خاصّ؛ يقول باتنجالي في بداية كتابه المعنون "مهابهاسا" إنّ هناك خمسة أسباب لدراسة النحو: "هي الحفاظ على "الفيدا"، والقدرةُ على تحرير الصياغات من "الفيدا"؛ لتناسب وضعًا جديدًا، وتحقيقُ الالتزام الدينيّ، وتعلّمُ اللغة بالسهولة المستطاعة، وحلُّ الشكوك في تفسير النصوص".[2]

ومن ينظر في تاريخ الدراسات النحوية عند الهنود الأقدمين يجد عدّةَ مدارسَ تتوالى في الظهور؛ تخدم هذا العلم بأشكال مختلفة ومناح متعدّدة؛ أبرزها ما يلي:

أوّلًا: مدرسة "إيندرا": الذي أسّسها "إيندرا"، وكان أتباع هذه المدرسة ينادون بمبدإ تحليل الجملة إلى كلمات، واعتبار الكلمة المفردة وحدة للمعنى.

ثانيًا: مدرسة "ساكايانا"، وكان من أهمّ آرائه أنّ كلّ الصيغ غيرَ الفعلية مشتقّةٌ من جذور فعلية.

ثالثًا: مدرسة "غَرْجِيا"؛ وهو أوّل من رأى أنّ حروف الإضافة ليست رموزًا لمعانٍ إضافيةٍ-فقط- ولكنها تحمل معناها الخاصّ المستقلّ بها؛ حين تعزل عن الأسماء والأفعال.

---

[1] نفس المرجع، ص 64-67 باختصار

[2] ينظر: إمبراطوريات الكلمة، تاريخ للغات في العالم، ص 260

رابعًا: مدرسة "غالاوا"؛ وهي مدرسة تميل أكثر إلى الدراسات الصوتية.

خامسًا: مدرسة "ياسكا": يُعَدّ "ياسكا" اشتقاقيًّا وباحثًا في قضايا اللغة أكثر منه نحويًّا، غير أنّ له جهودًا موفّقةً ونظراتٍ صائبةً في النحو؛ منها أنَه قسَم الكلام إلى أربعة أقسامٍ: اسمٍ، وفعلٍ، وحرف إضافةٍ، وحرف أداةٍ، ومنها أنّه قدَم تعريفاتٍ محدَّدةً لكلِّ قسمٍ من هذه الأقسام.

سادسًا: مدرسة "بانيني": مدرسة "بانيني" تعدّ أهم مدرسة اعتنتْ بدراسة النحو بشكلٍ مُدهشٍ، وسيأتي الكلام عنها- إن شاء الله؛ لنربط جهودها بالجهود؛ التي تلت في القرون المتأخّرة.

سابعًا: مدرسة "جاندرا": يعدّ "جاندرا" نحويًّا بوذيًّا، وكان من أهدافه: كتابة نحو جديد يمدُّ تلاميذَ كنيستِهِ بقواعدَ تتخلّص من العناصر البرهمية التقليدية؛ كما كان يهدف إلى إصلاح أعمال مدرسة "بانيني"؛ واتصفت بالاختصار الشديد، وعدم الدقة في بعض الأحيان.

ثامنًا: مدرسة "جين إندرا" وأهمّ ما يميّز هذه المدرسةَ القيامُ ببعض التعديلات في الترتيب على نظام "بانيني"؛ كما أنه قد ألّف كتابين: الأول مطوّلٌ؛ يحوي حوالي 3700 قاعدة، والثاني مختصرٌ؛ يحوي حوالي 3000 قاعدة.[1]

هذه عدة مدارس اشتهرتْ في تاريخ الدراسات اللغوية السنسكريتية، غير أنّ مدرسة "بانيني" تُعَدُّ من أهمّ تلك المدارس؛ التي أدّت دورًا بارزًا في إحياء قواعد السنسكريتية، ويعدُّ "بانيني" العميدَ الأصيلَ؛ الذي يرجع إليه تجديد الدراسات اللغوية السنسكريتية في مؤلّفه الشهير "ثمانية كتبٍ في قواعد اللغة"؛ الذي ذكر فيه أسلافَه من النحويين.

"وتكمن أهمّية كتاب "بانيني" في تناوله اللغة من جميع جوانبها؛ لفظًا، وكتابةً، ونحوًا، وصرفًا، وإعرابًا للمفردات والجمل، وكذلك في تصنيفه جذورَ الأفعال والأسماء،

[1] البحث اللغوي عند الهنود، وأثره على اللغويين العرب، ص 76-83 باختصار

واستخلاص قواعد اشتقاقها؛ كما ميّز- جغرافيًّا- الصيغَ اللغوية الشمالية من الصيغ الشرقية، وقد صاغ "بانيني" قواعدَه في لغة يسهل حفظُها عن ظهر قلب، مما ساعد في صون قوام اللغة من اللّحَن والخطأ عبر القرون؛ فصار كتابُه مقياسًا لصحة السنسكريتية، ولا سيَما مع ظهور فروقٍ واضحةٍ بين السنسكريتية واللغة المنطوقة المتداولة في عصره؛ أي: لغة براكريت Prakrit، بما يماثل الاختلافَ في العربية بين الفصحى والعامية أو المحكية، التي بيَنها "بانيني" في كتابه".[1]

و"يحتوي كتاب "بانيني" على ما يقرُب من أربعة آلاف قاعدة؛ موزّعةً على أقسامه الثمانية على النحو الآتي:

1. يشتمل القسم الأوّل على تعريفاتٍ عامةٍ وقواعد للشرح؛ كما يعالج مشكلاتٍ صوتيةً متنوعةً.
2. القسم الثاني يعالج مشاكلَ الإبدالِ وهدفَ التصريف، ووَضعَ قواعدَ للجنس، والأعداد.
3. القسم الثالث يتحدّث عن اللواحق الأساسية.
4. أما القسمان: الرابع والخامس فيتعرّضان للواحق؛ التي يمكن إضافتها للأصل غير الفعل مكوّنةً جذرًا غيرَ أساسيّ، ولواحقَ تصريفيةً.
5. القسمان: السادس والسابع يتناولانِ بحوثًا صرفيةً صوتيةً على مستوى الكلمة.
6. القسم الثامن يعالجُ مشاكلَ متنوّعةً.

وقد كُتِبَتْ عدة شروحٍ وتعليقاتٍ على عمل "بانيني"؛ منها: شرحُ "كاتيانا" باسم varttikas، وشرحُ "باتنجالي"، باسم "مهابهاشا"؛ شرح فيه مؤلَّف "بانيني"، واتخذ فيه جانِبَ الدفاع عنه والانتصارَ له، ويمتاز هذا الكتاب بأسلوبه السهل الحي؛ الذي؛ لا يجارى، والذي لم يَسبقْ له مثيلٌ في تاريخ النحو السنسكريتي".[2]

[1] ينظر: الموسوعة العربية، 176/11 (السنسكريتية).

[2] ينظر: البحث اللغوي عند الهنود، وأثره على اللغويين العرب، ص 84-86.

رابعًا: المستوى المعجمي: و"أقدم الأعمال المعجمية عند الهنود تلك القوائم من الكلمات الصعبة المأخوذة من النصوص المقدسة؛ التي عُرفتْ باسم nighantu لمؤلّف مجهول اسمُه، ولا يصحّ اعتبارُ هذه القوائم معاجمَ ولا أشباهَ معاجمَ؛ لأنها اكتفَتْ بالسرد والجمع، ولم تَحو أيّ شروح للكلمات المجموعة على الإطلاق.

وتلا ذلك ظهور معجم :niruktas؛ الذي يعدُّ بمثابة الشرح للمعجم السابق، والذي يمكن أن يسمّى معاجمَ الموضوعات، أو معاجمَ المعاني.

ثم ظهر معجم wordbooks (كتب الكلمات)، هذا المعجم لا يتقيّد بالنّصوص المقدَسة، ولا يرتبط بأيّ كتاب معيّن؛ وإنما يعالج الكلمات بوجه عام؛ كما أنه يشمل الأسماءَ فقط من دون التعرّض للأفعالِ.

ثم ظهر معجم المشترك اللفظي المسمَى بـ anekarthasamuccaya لمؤلفه Aasvata في القرن السادس الميلادي، وترتيبُه للموضوعات: شرح أوَّلًا الكلماتِ؛ التي تحتاجُ لبيان معناها إلى بيتٍ كاملٍ، ثم الكلماتِ؛ التي تحتاج لنصف البيت، ثم الكلماتِ؛ التي تحتاج إلى ربع بيتٍ.

ثم ظهر معجم abhidhanaratnamala لمؤلّف halayudha في منتصف القرن العاشر الميلادي.

والظاهرة الملاحظة بوجه عامّ على كلّ هذه المعاجم أنها كانت تكتبُ في شكل منظومات؛ ليسهلَ حفظُها؛ كما أنها كانت تهدف إلى خدمة الشعراء.

والخلاصة أنّ ترتيب المفردات عند الهنود لم يكن يخضعْ لنظام معيَن؛ فبعضُها كان يكتفي بالترتيب الموضوعي؛ فيضع الكلماتِ المتعلقةَ بموضوع واحد تحت عنوان واحد، وبعضُها كان يُرتّب الكلماتِ بحسب الحروف الهجائية، وبعضُها كان يأخذ في الاعتبار حجمَ الكلمة، وعددَ المقاطع؛ التي تحويها، وإلى جانب هذا لم يعرف عن أحد هذه المعاجم أنه اتصف بالشمول، أو ادّعى لنفسه حصرَ كلماتِ اللغة ...[1]

[1] نفس المرجع، ص 93-98 باختصار.

هذه ومضاتٌ خاطفةٌ للدراسات اللغوية، وأهمّ صور نشاطاتها في شبه القارة الهندية؛ قبل مجيء الإسلام إليها؛ التي اتخذت مكان الريادة، وعُدّت البذور الأولى للدراسات اللغوية، وأصبح اللغويون الباحثون يُرجعون الدراسات اللغوية قديَمها وحديثَها إليها.

ويكفي أن تكون جهودُهم في مجال الأصوات هي الأساس؛ الذي بنى عليه علماء الأصوات المحدثون دراساتِهم، حتى قال فيرث: "إنه لولا المعلومات؛ التي قدّمها وليم جونز عن النحاة والصوتيين الهنود ما كان يمكن أن تنشأ مدرسةٌ صوتيَّةٌ إنجليزيّةٌ في القرن التّاسع عشر".[1]

وإذا تقرَّر أنّ الدراسات اللغوية المرتبطة باللغة السنسكريتية هي الأساس الأوّل والنواة الأولى، فمن البديهي أن تكون قد أثّرتْ في الدراسات اللغوية الأخرى، وتأثّرت بها، ولا سيما الدراسات اللغوية العربية؛ لوجود الصلات بين العرب والهنود من القدم؛ ولذلك نرى عددًا من الباحثين يميلون إلى أنّ الدراسات اللغوية العربية متفرعِةٌ عن الدراسات اللغوية السنسكريتية، وأنّ روّادها- كالخليل وسيبويه- قد أخذوا فكرة دراساتهم منها.

فإذا تتبّعنا مصادر الدراسات اللغوية التاريخية وجدنا أنَ تأثير الدراسات اللغوية السنسكريتية في الدراسات اللغوية العربية وتأثرها بها قضيّةٌ تضاربتْ فيها أقوالُ القدامى والمحدّثين من اللغويين إلى ما يأتي:

أما القدامى فذهبوا إلى أنّ الدراسات اللغوية العربية نشأت في البيئة العربية، والدواعي في هذه القضية تدورُ في مجال القرآن الكريم وصونه من اللحن والخطأ، وحول شعر العرب ونثرهم وكلامهم- أيضًا.

وذهب ابن فارس في كتابه "الصاحبي"[2] إلى أنّ علم العربية كان العرب يعرفونه قبل الإسلام؛ وهو توقيفٌ من الله؛ مثل أصل اللغة والخط والعروض. هذه

---

[1] نفس المرجع، ص 58-59

[2] ينظر: الصاحبي في فقه اللغة، ص 12-13

المعارف كانت قديمًا، ثمّ أتتْ عليها الأيام، وقلّت بين الناس، ولما جاء أبو الأسود جدّد العربية؛ كما جدّد الخليلُ علم العروض.[1]

أما المحدَثون فتتلخّص آراؤهم في ثلاثة اتجاهات:

الأوَّل: الرأي الذي يرجح أو يقطع بوجود تأثير هندي.

الثاني: الرأي الذي لا يرجِّح ولا يقطع، ولكن يرى احتمال وجود هذا التأثير.

الثالث: الرأي الذي ينفي وجود أيّ تأثير هندي.

أما الرأي الأول فيتزعّمُه الدكتور شوقي ضيف الذي يقول: "وقد وضع الخليل معجمًا للعربية؛ بترتيب مخارج الحروف متأثّرًا بالهنود في ترتيب لغتهم".[2]

ويقول الدكتور عبد الرحمن أيوب: "إنّ سيبويه قد تأثر في تبويب كتابه بالطريقة الهندية في التأليف؛ التي تقوم على أسس ثلاثة: هي العناية بالأصوات ومخارجها، وعدمُ الاهتمام بالنظريات والتقسيمات العقلية، والاعتمادُ على أشكال الألفاظ في تقسيمها إلى أنواع".[3]

وأما الرأي الثاني فقد اختارته دائرة المعارف الإسلامية؛ التي تقول: "كان الخليل- أيضًا- أوّلَ من صنَف معجمًا عربيًّا هو كتاب "العين"، والظاهر أنّه رتّبه على حروف الهجاء عند نحاة السنسكريتية؛ وهي التي تبدأ بحروف الحلق؛ حتى تصلَ إلى حروف الشفة".[4]

ويبدو كذلك أنّ هذا هو رأي الدكتور أحمد أمين؛ حيث يقول: "وأنا أخشى أن تكون حكاية أبي الأسود قد وُضعت في العربية على نمط الحكاية الهندية، ولعلّ مما يرجّح هذا الظنّ أنّ الحكاية العربية مختلفة الأشكال، متعددة الرواية".[5]

---

[1] ينظر: دراساتٌ في المذاهب النحوية في التفكير النحوي عند العرب، ص 62
[2] ينظر: الفن ومذاهبه في الشعر، ص 132
[3] ينظر: محاضرات في علم اللغة، ص 7
[4] ينظر: البحث اللغوي عند الهنود، وأثره على اللغويين العرب، ص 140
[5] ينظر: ضحى الإسلام، 245/1

أما الرأي الثالث فقد اختاره بروكلمان؛الذي يُصرِّح بأنه لا يمكن إثبات التأثير الأجنبي على النحو العربي، لا من القواعد اللاتينية، ولا من الهندية، ويُصرِّح كذلك بعدم وجود تأثير هندي في علم الأصوات العربية، وإنْ وجدَتْ بعضُ المشابهات العارضة اتفاقًا من طبيعة البحث".[1]

ولكنّ الرأي الأقرب إلى الصحة والأدنى إلى القبول هو تأثيرُ هندي من نوعٍ ما على الدراسات اللغوية العربية، أو على الأقل احتمال وجود هذا التأثير.

وقد ذكر الدكتور أحمد مختار عدة صور للتأثير أهمُّها ما يلي:

"أوّلًا: فكرة الترتيب الصوتي للأحرف الهجائية؛ مع البدء بأعمق الأصوات مخرجًا؛ فمن المحتمل جدًّا أن يكون الخليل قد سمع بترتيب صوتي عند الهنود لحروف لغتهم؛ فقام بنفس المحاولة في اللغة العربية...

ثانيًا: تصنيف الأصوات عند العرب؛ تبعًا لمكان النطق، ودرجة الاتصال، أو التقارب بين الأعضاء؛ فهذا يطابق منهجَ الهنود، ويخالف ما فعله اليونان.

ثالثًا: استخدام بعض المصطلحات أو التقسيمات النحوية؛ مثل الحديث عن اسم الفعل، ومثل القول بأنّ الحرف لا يحمل معنًى في ذاته، ومثل تقسيم الكلمات إلى متصرّف وجامد.[2]

الدراسات اللغوية في شبه القارة الهندية بعد الإسلام ظهورها، ونشاطاتها: لا شك أنّ اللغة العربية هي أنصع اللغات بيانًا، وأغناها تراثًا، وأغرزها علمًا، وأعرقُها ثقافةً، لها أهمّيةٌ كبيرةٌ بين لغات العالم الحية؛ فهي تمتازُ بالجودة، والقوّة، والتأثير، والروعة، والجمال، والحيوية.

ويرجع تاريخ اللغة العربية إلى قديم الزمان؛ وهي متفرعةٌ عن اللغة السامية،إلا أنها فاقت أصلها، ونالت مكانتها المرموقة، وحظوتها العالمية، وسعة انتشارها،

[1] ينظر: تاريخ الأدب العربي، 123/2.

[2] ينظر: البحث اللغوي عند الهنود، ص 142-143

عندما تشرّفت أرض شبه الجزيرة العربية بالإسلام، ومصادره التشريعية- القرآن والحديث- بهذه اللغة، وانطلقَ بها الدعاة والفاتحون إلى شتى بلاد العالم؛ شرقًا، وغربًا، وشمالًا، وجنوبًا.

هذه اللغة العربية- لكونها لغة القرآن الكريم، والحديث الشريف، والثقافة الإسلامية- صارت تتمتّع بالحبّ والاحترام والتقدير لدى المسلمين حيثما سارتْ وراجتْ. يقول أبو منصور الثعالبي: "من أحبَّ اللهَ- تعالى- أحبَّ رسوله محمدًا- صلَى الله عليه وسلّم- ومن أحبَّ الرسول العربي أحبّ العرب، ومنْ أحبّ العربَ أحبّ العربية؛ التي بها نزل أفضلُ الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربية عُنِيَ بها وثابَرَ عليها، وصرف همّته إليها، ومَنْ هَدَاهُ اللهُ للإسلام، وشَرَحَ صدرَه للإيمان، وآتاه حسنَ سريرة فيه، اعتقد أنّ محمدًا- صلّى الله عليه وسلَّم- خيرُ الرسل، والإسلامَ خيرُ الملل، والعربَ خيرُ الأممِ، والعربيةَ خيرُ اللغاتِ والألسنةِ، والإقبالَ على تفهّمِها من الديانة؛ إذ هي أداةُ العلم، ومفتاح التفقّه في الدين، وسببُ إصلاح المعاش والمعاد، ثم هي لإحراز الفضائل والاحتواء على المروءة، وسائر أنواع المناقب؛ كالينبوع للماء، والزند للنار".[1]

ولهذه الأهمّية عُنِيَ المسلمون بهذه اللغة عنايةً بالغةً، وبذلوا جهودًا مضنيةً في تعلّمها وتدريسها، وصرفوا مساعيَهم في التصنيف والتأليف فيها. وهكذا أخذت اللغة العربية تكتسبُ صبغةً عالميَّةً على الصعيد العالمي منذ القرون الأولى.

وتُعدُّ الهند واحدةً من البلاد؛ التي يرجع فضل انتشار الإسلام فيها إلى دعاة العرب؛ الذين تشبّعوا بروح الإسلام السمحة؛ فأنارُوا الطريقَ لنشر الدعوة الإسلامية في ربوعها عقبَ ظهورها في الجزيرة العربية مباشرةً، وهبّتْ عليها نفحاتُه منذُ أنْ فتحها القائد الشابّ محمّد بن القاسم سنة 93هـ، وفتح مناطقَ كثيرةً في ولاية السند، ودخل الإسلامُ السندَ والهندَ لأوَّلِ مرّة؛ فأصبحتِ السند ولايةً من

[1] فقه اللغة وسرّ العربية، ص 25.

ولايات الخلافة الأموية، ثم اتسعت رقعةُ الإسلام في الهند من بلاد السند إلى غيرها؛ فدخلتْ بلادُ غجرات، وملتان، وكشمير، وغيرها في الإسلام.

ولما كانت اللغة العربية لغةَ القرآن، والحديث، ولسانَ الدعوة الإسلامية، ولسانَ المنتصر- في ذلك الزّمان- كان من الطبعي أن تنتشر مع انتشار الإسلام، وأن تأسر قلوب معتنقي الإسلام ولو بخطًّ وليدة.

وتدلّنا المصادر التاريخية أنه بدأ استخدامُ اللغة العربية في الهند منذُ الأيّام الأولى للفتح الإسلامي للسند، وكان أوّلُ نقشٍ عُثر عليه في الهند هو نقشُ المسجد الجامع في (بنبهور) بالسند المؤرَّخ سنة 107هـ/727م؛ وهو أقدم النماذج؛ التي استخدم فيها الخط العربي للكتابة على الأحجار في العصور الإسلامية.[1]

هكذا استمرّت الدعوة الإسلامية، واستمرّ الإسلام ينتشر فيها؛ فكما انتشر الإسلام انتشرت اللغة العربية على نطاق واسع بين سكّان البلاد؛ حيث تروي كتبُ التاريخ أنّ الهنود؛ الذين أسلموا في أقاليم السند؛ كانوا يتحدّثون إلى العرب بلغتهم، وكانوا يرتَدُون زيَّهم؛ يقول الإِصْطَخريّ: "ولسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية".[2] ويؤكّد الدكتور خورشيد الندوي أنّ انتشارَ اللغة العربية في الهند على نطاق واسع كان في القرن الرابع الهجري؛ حين وصلت أسرٌ؛ مثل: المماليك، والخلجيّين،والتغلقيّين، والسادات،واللودهيين، وتمتازُ هذه الفترة بتقدّمٍ ملموسٍ في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي؛ حيث عُني كثيرٌ من ملوكها وأمرائها بتأسيسِ المدارس ومراكزِ التعليم، وبذَلَ العلماءُ جهودًا جبارةً في توسيع نطاقِ اللغة العربية؛ حرصًا على لغة القرآن والسنّة؛ فأثمرت جهودُهم، وأتتْ بنتائجَ مبشّرةٍ.[3]

[1] ينظر: (الخط العربي وأثره الحضاري، للدكتور محمّد يوسف صديق)، مقالٌ منشورٌ على الشبكة الدوليّة في موقع (نادي الإحياء العربي).

[2] ينظر: المسالك والممالك، ص 105

[3] ينظر: اللغة العربية في الهند عبر العصور، ص 14

بل قام المسلمون- في شبه القارة الهندية- بدور كبير في خدمة هذه اللغة السمحة؛ فقدّموا للعالم الإسلامي تحفًا علميةً نادرةً وعظيمةً بهذه اللغة العظيمة، ولم يكن اعتناؤهم بها أقلّ من غيرهم؛ فمنذ أن دخل الإسلامُ في هذا البقاع أخذت اللغة العربية تكتسح الساحاتِ فيها، وأخذتْ تكسبُ أرضًا جديدةً كلَّ يوم في مكان اللغات المحلّية الموجودة قبلها.يقول الدكتور نبيل فولي: "لكنّ العربية بقيتْ- في كلّ الأحوال- لغةَ العلوم الدينية والدنيوية الأولى، طوال فترات التفوق الحضاري للمسلمين، وكانت تصنع لنفسها في بعض المناطق خنادق خاصة بها في أوساط العلماء والطلّاب وسط خضم من اللغات الأعجمية؛ التي تأثّرت بها تأثّرًا لم يتوقَّفْ عند حدود استعارة الألفاظ؛ بل استعارتْ منها ألوانًا أدبيةً متعدِّدةً- أيضًا".[1]

ولكنّ الذي يدعونا إلى الأسف أنّ اللغة العربية لم يكتب لها من الذيوع والانتشار- في هذه البقعة من الأرض- ما هي حقيقة به؛ فلم تصبح لغةَ هذه البلاد، ولغة التخاطب والتفاهم، كما أصبحت لغة أهل مصر والشام والعراق، ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أنّ الملوك؛ الذين حكموا الهند، وتولّوا زمامها، لم يصرفوا اهتماماتهم بنشر الإسلام ولغته.

وعلى الرغم من هذا، كانت العربية تُسْتَقْبَلُ بالحبّ والاحترام والإعجاب من أهل الهند، ثم استمرّت المراكزُ العلمية تؤدّي دورَها في مناطقَ متعدّدةٍ في نشر اللغة العربية، إلى جانب الفارسية والأردية؛ فكانتْ تدرّس فيها موادّ النحو، والصرف، والبلاغة، والأدب، والموادّ الأخرى المتعلقة بالعربية؛مثل: الترجمة، إلى جانب العلوم الدينية؛ مثل: التفسير، والحديث، والفقه، وأصول الفقه.

---

[1] ينظر: الشعر العربي في شبه القارة الهندية، للدكتور نبيل فولي، مقالٌ منشورٌ في مجلة الوعي الإسلامي الصادرة عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، العدد 32، بتاريخ 3 سبتمبر 2010م.

ولم تكتفِ المدارسُ بتعليم وتدريس الموادّ العربية فقط؛ وإنما خرّجتْ جهابذة وعباقرة ساهموا في التأليف والإنتاج العلمي في اللغة العربية وعلومها وآدابها.

إنّ الدارس للحركة اللغوية في شبه القارة الهندية يلاحظ أنه لا توجد دراساتٌ لغويَّةٌ متكاملةٌ إلا في القرن السابع الهجري؛ وذلك عندما ظهرت على يد الحسن بن محمّد الصغاني اللاهوري (ت 650ه).

ووجود دراساتٍ متكاملةٍ في هذا القرن السابع، يعني أنه قد سبقتْها مقدّماتٌ مهّدت لظهورها،

ومنها ما قام به القرّاء؛ إذ لا بدّ أن يتعلّم القاري المبتدئ أصولَ اللغة، ومبادئ النحو، والظواهر العامة فيهما: من أصواتٍ لغويةٍ، وفتحٍ، وإمالةٍ، وإدغامٍ، ووقفٍ، وابتداءٍ، كما أنّ رحلة العلماء من شبه القارّة الهندية وإليها ساعدت على رحلة كثير من الكتب والدراسات في اللغة؛ وهي- وما قام حولها في مجالس العلم والتدريس- كانت بمثابة الروافد؛ التي أغنتْ الدراسات؛ التي ظهرت متكاملة- فيما بعد.

وإذا تصفّحْنا التاريخ الإسلامي وجدْنا أنّ الهندَ رأتِ العربيةَ تنشط- في درسها اللغوي- نشاطًا ملحوظًا في كلّ من: العهد العربي، والغزنوي، والغوري، وعهد المالك، والعهد المغولي، وعصر الاحتلال الإنجليزي، والعصر الحديث.

الدراسات اللغوية في العهد العربي: يمتدّ هذا العهد منذ أن بزغت شمس الإسلام في أرض الهند إلى سنة 392ه؛ وفيه ظهر عددٌ من العلماء؛ الذين لهم مشاركاتٌ وإسهاماتٌ في قرض الشعر والتأليف باللغة العربية[1]؛كأبي معشر نجيح السندي المتوفّى سنة 170ه، والشاعر العربي أبو عطاء السندي المتوفى سنة 180ه، وغيرهما؛ وهؤلاء ظهرت شخصياتهم في مجال الشعر والأدب والكتابة بالعربية؛ لأنهم أخذوا قسطًا كبيرًا من علوم العربية؛ وتبحّروا في الدراسات اللغوية وخوضهم فيها، غيرَ أنّ نشاطاتهم

[1] ينظر: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم، 77/1، والأدب الأردي الإسلامي، ص48.

واهتماماتهم لم تدوَّن في صفحات الكتب، ولم يعتنوا هم أنفسهم بتسجيلها؛ فظلّت مجهولة، ولم يصل إلينا منها إلا قدر ضئيل لا يصلح لأن يُذكرَ، ولأنّ شأنَ البدايات أن تكون صغيرة، ثم تكبر؛ ومن ثم فإنه يمكننا أن نَعُدَّ العصرَ العربيّ بمثابة الفجر الأوَّل؛ الذي يؤذنُ بصبح مشرق لظهور الاهتمام اللغوي في شبه القارة الهندية.

الدراسات اللغوية في العهد الغزنوي والغوري: يمتدّ العهد الغزنوي من بداية حملة محمود الغزنوي السند سنة 392ھ، إلى سنة 547ھ، وآخر ملوكه بهرام شاه، ثم يبدأ العهد الغوري من بداية سنة 547ھ إلى سنة 602ھ.

وفي هذين العهدين لاقت اللغة العربية رواجًا كبيرًا؛ حيث أصبحتْ لغةً رسميةً، وعُرِّبت المصطلحات الفارسية، وظهر الكثير من أدباء العربية وشعرائها؛ مثل: عطاء بن يعقوب الغزنوي المتوفى سنة 491ھ، وغيره كثيرٌ.[1]

أما نشاطاتهم في الدراسات اللغوية واهتماماتهم بها فنجدها تنشط نشاطًا ملحوظًا؛ بحيث ظهر عديدٌ من الأدباء والشعراء؛ الذين شهد لهم التاريخ بعلوّ كعبهم، وفائق قدراتهم في مجال الأدب العربي شعرًا ونثرًا.

الدراسات اللغوية في عهد المماليك: يمتدّ عهد المماليك منذ سنة 602ھ إلى سنة 932ھ، وقد حكم فيه عدّة أسر؛ بدءًا من قطب الدين إيبك 602-664ھ وانتهاء بأسرة لودي سنة 932ھ.

وفي هذا العهد ازدهرت العربية، وألّفت كتبٌ قيّمة في الفقه والتفسير، وأنشئتْ مدارسُ عديدةٌ بمدينة دلهي، وآغره، وغجرات، وبهار، وبنغال، وملتان، وغيرها من المدن بأسماء وعناوين مختلفة، حتى انتشرتْ شبكةُ المدارس الإسلامية في أرجاء الهند، وكان الطلبة يدرسون التفسير، والفقه، والحديث، والنحو، والأدب،

[1] ينظر لمزيد من التفصيل: الأدب الأردي الإسلامي، ص 49-50.

والصرف، والعلوم الفلسفية مباشرةً من خلال الكتب العربية، بالإضافة إلى بعض الكتب الفارسية.[1]

أما نشاطاتهم في مجال الدراسات اللغوية واهتماماتهم بها- في هذه الحقبة- فنجدها تزدهر كلّ الازدهار؛ حيث بدأ التصنيف والتأليف في أرض الهند؛ فأوَّل من لمع اسمه في تاريخ الدراسات اللغوية العربية في الهند، والذي إليه يرجع قصبُ السبق، وعُدَّ من مراجع اللغة العربية، واعتنى بها أئمّة اللغة قديمًا وحديثًا، واعترفوا له بالدقة والإتقان، وغزارة المادّة، واعترفُوا بالفضل والإمامة هو الحسن بن محمّد الصغاني اللاهوري (577-650هـ) الذي صنَّف كتبًا عديدةً في الدراسات اللغوية؛ مثل: العباب الزاخر واللباب الفاخر، والتكملة والذيل والصلة، والأضداد، ومجمع البحرين، وكتاب الخيل، وكتاب الأسد، وغيرها من الكتب في مختلف العلوم والفنون.

وظهور موسوعية الصغاني في علوم العربية آذنَ بظهور أوائل المؤلفات في موضوعات شتى في اللغة والنحو والأدب في شبه القارة الهندية.

ثم بدأت التأليفات تتابعتْ في الظهور بعده؛ حيث نبغ جمٌّ غفيرٌ من العلماء؛ الذين لهم إسهاماتٌ فذّةٌ، ومشاركاتٌ فريدةٌ في تطوير الدراسات اللغوية؛ من خلال تصانيفهم، وتأليفاتهم، أبرزهم؛ الأمير خسرو الدهلوي المتوفى سنة 725هـ صاحب كتاب (شرح نظم العوامل المائة في النحو)، وسراج الدين الأودي المتوفى سنة 758هـ صاحب كتاب (هداية النحو)، ويوسف بن جمال العلوي الملتاني المتوفى سنة 790هـ صاحب كتاب (شرح لبّ الألباب)، والشيخ صفي الدين الردولي المتوفى سنة 819هـ، صاحب كتاب (غاية التحقيق شرح كافية ابن الحاجب)، وملك العلماء شهاب الدين الدولت آبادي المتوفى سنة 849هـ صاحب كتاب (الإرشاد في النحو)، و(شرح على الكافية) معروف بالحواشي الهندية، وسعد

[1] ينظر: تاريخ أدبيات مسلمانان باك وهند، عربي أدب، ص 119، 150.

الدين الخير آبادي المتوفى سنة 882هـ صاحب كتاب (شرح كافية ابن الحاجب)، وزين الدين بن علي المليباري المتوفى سنة 928هـ صاحب كتاب (كفاية الطالب في حلّ كافية ابن الحاجب)، وغيرهم كثيرٌ.[1]

الدراسات اللغوية في العهد المغولي: يمتد العهد المغولي من سنة 928هـ إلى سنة 1273هـ، وفيه بدأت اللغة العربية تتراجع كثيرًا، وبدأت الفارسية والسنسكريتية والتركية تزاحمها مكانتها؛ إذ أصبحت العربية لغة الدين والثقافة الإسلامية، بينما الفارسية أصبحت اللغة الرسمية، ولغة الأدب والشعر.[2]

وبالرغم من ذلك نبغ في هذا العهد جمٌّ غفيرٌ من العلماء، ألّفوا كتبًا كثيرةً في مجال الدراسات اللغوية إلى جانب الدراسات الإسلامية، ومن أبرز علماء هذا العهد في مجال الدرس اللغوي: مُلّا جمال الدين بن نصير الدين (ت984هـ) صاحب كتاب (الحاشية على الفوائد الضيائية)، والشيخ عثمان بن جمال الدين المعبري الفناني (ت991هـ) صاحب كتاب (عين الهدى شرح قطر الندى)، والشيخ منوّر بن عبد المجيد اللاهوري (ت1011هـ) صاحب كتاب (شرح على إرشاد القاضي شهاب الدين)، والشيخ أبو الخير بن المبارك (ت1019هـ) صاحب كتاب (شرح الإرشاد للدولت آبادي)، والشيخ عيسى بن القاسم السندي (ت1031هـ) صاحب كتاب (التتميم شرح المائة العاملة)، وملّا عبد الحكيم السيالكوتيّ (ت1067هـ) صاحب (الحاشية على شرح الكافية للجامي)، والشيخ محمّد رشيد العثماني الجونفوري (ت1083هـ) صاحب كتاب (خلاصة النحو)، والشيخ جمال الدين الغجراتي (ت1124هـ) صاحب كتاب (الحاشية على شرح الكافية للجامي)، والشيخ عبد الرسول السهارنفوري (ت1133هـ) صاحب كتاب (شرح على العوامل المائة)، والشيخ نور الدين الغجراتي (ت1155هـ) صاحب كتاب (الشرح على الزبدة)، وأحمد

[1] اقتطفت هذه المعلومات من كتاب: نزهة الخواطر لعبد الحي اللكنوي (الجزء الخامس والسادس).

[2] ينظر: الأدب الأردي الإسلامي، ص 52

بن مسعود الهرغامي (ت1175هـ) صاحب كتاب (باهر البرهان)، والشيخ عبد النبي الأحمدنغري (ت1200هـ) صاحب شرح الكافية (جامع الغموض ومنبع الفيوض) و(دستور العلماء جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، والشيخ عبد القادر بن خير الدين (ت1202هـ) صاحب كتاب (منظومة في العوامل النحوية)، والشيخ عليم الدين بن فصيح الدين (ت1211هـ) صاحب كتاب (عين الهدى شرح قطر الندى)، والسيد أمير حيدر الحسيني البلغرامي (ت1217هـ) صاحب كتاب (منتخب النحو)، والشيخ محمد عليم الإله آبادي (ت1220هـ) صاحب كتاب (شرح الميزان والمنشعب)، والشيخ تراب علي بن نصرة الله الخير آبادي (ت1242هـ) صاحب كتاب (وسيط النحو)، والشيخ علي جعفر الحسيني الإله آبادي (ت1249هـ) صاحب كتاب (الشرح على هداية النحو)، والشيخ عبد الرحيم بن عبد الكريم الصفي فوري (ت1267هـ) صاحب كتاب (أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك)، و(غاية البيان في علم اللسان)، والمولوي خادم أحمد اللكنوي (ت1271هـ) صاحب (رسالة في مبحث الحاصل والمحصول من شرح الكافية للجامي))، وغيرهم كثيرٌ.[1]

الدراسات اللغوية في عهد الاحتلال الانجليزيّ: يمتدّ عهد الاحتلال الإنجليزي من سنة 1273هـ إلى سنة 1367هـ، وفيه نال الإنجليز سيطرةً تامَّةً على الهند، وبدأوا في نشر نظامٍ للتعليم للقضاء على اللغة العربية؛ فتقلّصت المدارس الإسلامية، وتراجعتْ إلى داخل المساجد، وقلّت المدارسُ العربيةُ والإسلامية، وهجرها الدارسون والمعلّمون،[2] ورغم هذا نجد عددًا كبيرًا من العلماء؛ الذين بذلوا جهودهم الجبّارة لأجل المحافظة على العربية، وتصدّوا للتأليف في هذا المجال؛ أبرزهم: السيّد محمّد تقي اللكنوي (ت1289هـ) صاحب كتاب (العباب في النحو)، والمفتي سعد الله المرادآبادي (ت1294هـ) صاحب التأليف المشهور (القول المأنوس

[1] ينظر: الثقافة الإسلامية في الهند لعبد الحي اللكنوي، ص 27-32.

[2] ينظر: الأدب الأردي الإسلامي، ص 52.

في صفات القاموس)، والشيخ وحيد الزمان بن مسيح الزمان اللّكنوي (ت1296هـ) صاحب كتاب (تاج اللغات)، والشيخ علي عباس الجرياكوتي (ت1302هـ) صاحب كتاب (خلاصة الصرف)، والسيّد عبد الله بن آل أحمد البلغرامي (ت1305هـ) صاحب كتاب (عين الإفادة في كشف الإضافة)، والسيّد صدّيق حسن خان القنّوجي (ت1307هـ) صاحب كتاب (البلغة في أصول اللغة)، والمولوي ظفر الدين اللاهوري (ت1322هـ) صاحب كتاب (نيل الأرب في مصادر العرب)، والشيخ كرامت حسين الكنتوري المتوفى سنة 1335هـ صاحب كتاب (فقه اللسان)، والشيخ عبد الحميد الفراهي (ت1349هـ) صاحب كتاب (مفردات القرآن)، والشيخ محمد سليمان أشرف البهاري (ت 1358هـ) صاحب كتاب (المبين)، والشيخ محمّد حسن الرسول فوري (ت1359هـ) صاحب كتاب (الفروق في اللّغة)، والشيخ محمّد بن يوسف السورتي (ت1361هـ) صاحب كتاب (الإنصاف فيما جرى في منع نحو أبي هريرة من الخلاف)، وغيرهم كثيرٌ.[1]

الدراسات اللغويّة في العهد الحديث: ويمتدّ هذا العهد من استقلال الهند الحرّية من أيدي الإنجليز سنة 1367هـ إلى يومنا هذا؛ وفيه أغنى علماء الهند المكتبات العربية من التصانيف النادرة، والبحوث القيّمة في الدراسات اللغوية، وتفصيلُ ذلك كلِّه يتطلّب مئاتٍ من الصفحات، ولكنْ أكتفي بذكر عدّة علماء برزوا في هذا المجال؛ منهم: الشيخ عبد العزيز الميمني الراجكوتي (ت1398هـ) محقّق (سمط اللآلي)، والشيخ وحيد الزمان القاسمي الكيرانوي (ت1995م) صاحب (القاموس الجديد)، والدكتور عبد الحق شجاعت علي (ت 2012م)، والشيخ نور عالم خليل الأميني صاحب كتاب (مفتاح العربية)، والدكتور بشير أحمد جمالي صاحب كتاب (مقارنةٌ بين النحو العربي والإنجليزي)، والشيخ ف عبد الرحيم صاحب كتاب (معجم الدخيل في العربية الحديثة)، وغيرهم من العلماء.

[1] ينظر: الثقافة الإسلامية في الهند لعبد الحي اللكنوي، ص 27-32

وهكذا لقيت الدراسات اللغوية الاهتمام البالغ من قبل علماء الهند، وظلّتْ عنايتُهم مستمرّةً على مرّ العصور، وليستْ هذه العنايةُ تقليديةً فقط؛ بل لهم إبداعاتٌ وابتكاراتٌ، وإضافاتٌ وزياداتٌ، وآراءٌ ونظراتٌ، واختياراتٌ وترجيحاتٌ؛ واعتراضاتٌ وانتقاداتٌ، منها ما هو فريدٌ في المكتبة العربيَّة.

وهذا ما سنتعرّض له في اللقاء القادم- إن شاء الله.

المصادروالمراجع

1. الأدب الأردي الإسلاميُّ لسمير عبد الحميد إبراهيم، جامعة الإمام محمّد بن سعود الإسلاميّة بالرّياض، سلسلة آداب الشّعوب الإسلاميّة (2).
2. أسس علم اللُّغةلماريوباي، ترجمة الدُّكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطّبعة الثّانية سنة 1419م.
3. إمبراطوريَّات الكلمة، تاريخ للّغات في العالم لنيقولاس أوستلر (ترجمة الدُّكتور محمّد توفيق البجرميّ) دار الكتاب العربيّ، بيروت، لبنان، سنة 2011م.
4. البحث اللُّغويُّ عند العرب مع دراسة لقضيّة التّأثير والتَّأثُّر، لأحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطّبعة السّادسة سنة 1988م.
5. البحث اللُّغويُّ عند الهنود، وأثره على اللُّغويّين العرب لأحمد مختار عمر، دار الثَّقافة، بيروت، لبنان، 1972م.
6. تاريخ الأدب العربيِّ لمصطفى صادق الرافعيّ، مكتبة الإيمان سنة 1997م.
7. تاريخ أدبيّات مسلمانان باك وهند،جامعة بنجاب باكستان سنة 1987م.
8. تاريخ المسلمين في شبه القارَّة الهنديَّة وحضارتهم للدُّكتور أحمد محمود السَّاداتي، مكتبة الآداب بالقاهرة، بدون سنة.
9. الثقافة الإسلامية في الهند لعبد الحي الحسني، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ، مصر، 2015م.
10. الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنّي، تحقيق محمّد علي النَّجَّار، المكتبة العلميَّة، بدون سنةٍ.
11. (خصائص تراكيب اللُّغة العربيَّة للدُّكتور عبد الله عليّ عليّ الثَّوريِّ) مقالٌ منشورٌ في الشَّبكة العنكبوتيّة (مدوَّنة الثّوري).
12. (الخطُّ العربيُّ وأثره الحضاريُّ، للدُّكتور محمَّد يوسف صدِّيق)، مقالٌ منشورٌ على الشَّبكة الدَّوليَّة في موقع (نادي الإحياء العربيّ).
13. دراساتٌ في المذاهب النَّحويَّة في التَّفكير النَّحويِّ عند العرب لزهير غازي، عالم الكتب، بيروت، 1986م.

14. الشِّعرُ العربيُّ في شبه القارَّة الهنديَّة، للدُّكتور نبيل فولي، مقالٌ منشورٌ في مجلّة الوعي الإسلاميِّ الصَّادرة عن وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة بالكويت، العدد 32، بتاريخ 3 سبتمبر 2010م.
15. الصّاحبي في فقه اللُّغة لأحمد بن فارس، تحقيق السّيّد أحمد صقر، مكتبة ومطبعة دار إحياء الكتب العربيّة.
16. ضُحى الإسلام لأحمد أمين، الهيئة المصريّة العامَّة للكتاب، مصر، الطَّبعة الأولى سنة 1997م.
17. فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّةلأبي منصور الثّعالبي، تحقيق عبد الرّزّاق المهديّ، إحياء التُّراث العربي، الطّبعة الأولى 2002م.
18. الفنُّ ومذاهبه في الشِّعر العربي، للدّكتور شوقي ضيف، دار المعارف سنة 2010م.
19. اللُّغة العربيَّة في الهند عبر العصور لخورشيد أشرف إقبال الندوي، الهيئة المصريّة العامَّة للكتاب سنة 2008م.
20. محاضراتٌ في علم اللُّغة الحديث للدُّكتور أحمد مختار عمر، عالم الكتاب سنة 1419م.
21. المسالك والممالك لأبي القاسم ابن حوقل، مطبع بريل المسيحيّة سنة 1872م.
22. الموسوعة العربيَّة لعددٍ من الباحثين، النَّاشر: هيئة الموسوعة العربيّة، الطَّبعة الأولى 1998م.
23. نزهة الخواطر لعبد الحيّ بن فخر الدّين بن عبد العليّ الحسنيّ، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطّبعة الأولى 1420هـ.